طائفة السقائين في مصر المملوكية
(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

سماح عبد المنعم السلاوي

دفعت حاجة الإنسان للماء منذ القدم إلى الاهتمام بالحفاظ على مصادر المياه، وتشييد المنشآت المائية من سدود وقناطر وترع وخزانات وأسبلة، وقد قال أحد الكتاب الفرنسيين فى العصور الوسطى: «إن عظمة أشعب يجب أن تقاس بمقدار ما يُعمل له من أجل الحصول على الماء»، وهذا ما فكر فيه المسلمون عند تخطيط المدن فوضعوا أُسُسًا وقواعد هامة تغيرت وتطورت على مر العصور، كما حددوا الأسس النظرية التى يقوم عليها اختيار الموقع والتخطيط، وكان على رأس هذه الأسس هو وجود مصدر للمياه العذبة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اشترط الفكر الإسلامى عند التخطيط ضرورة توفير المياه الصالحة للشرب والزراعة بسهولة ويسر لتصل إلى كل فرد فى المدينة وأصبح من المهام الرئيسية للحاكم، وقد أوضحت معظم كتب الرحلات والجغرافيا فى تراثنا العربى الإسلامى هذا الأمر واعتبرت الماء العذب وتوافره فى المدينة من المظاهر الجمالية التى تبرز رقى وجمال المدينة ولهذا أبدع الحكام فى ابتكار الأساليب والطرق المتنوعة لتوفير المياه، وتسهيل توصيله لأرجاء المدينة.

انتشرت طائفة السقائين فى المجتمع المصرى منذ فترات طويلة، والسقاء هو: شخص يحترف حمل المياه من مصادره كالأنهار والآبار إلى المنازل والمساجد

والمدارس والأسبلة والطواحين والأفران والمقابر ومؤسسات الوقف وهم أيضًا أصحاب الروايا والقرب لأنهم كانوا يحملون الماء فى أوعية جلدية.وبالنسبة للدراسات السابقة فقد وجد الباحث بعض المعلومات المتناثرة فى المراجع الحديثة منها كتاب الدكتور سعيد عاشور، المجتمع المصرى فى العصر المملوكى، وكتاب الدكتورة محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية، وكتاب آدم صبره، الفقر والإحسان فى العصر المملوكى، بالإضافة إلى كتابات الرحالة والمستشرقين المحدثين منهم إدوارد وليم لين، وأندريه ريمون وكلوت بك، وهؤلاء جميعهم قد دونوا ما شاهدوه فى شوارع القاهرة وضواحيها عن حياة السقاء وطبيعة عمله وأماكن توزيع المياه، وفى هذه الدراسة أحاول جمع وتحليل المادة العلمية المتاحة لتقديم صورة شاملة لطائفة السقائين فى مصر المملوكية، تلك الطائفة التى أثرت فى المجتمع المصرى وكان لها دور حيوى فى الحياة اليومية المصرية.

مصادر المياه العذبة فى مصر وطرق توفيرها

تنوعت مصادر المياه العذبة فى مصر واختلفت من مكان لآخر.أهمها: نهر النيل شريان الحياة والذى اعتمد عليه المصريون فى تأسيس حضارتهم العريقة، وهو المصدر الأساسى للمياه العذبة فى مصر نظرًا لكونها جافة، ولا شك أن هبوط النيل عن حد الوفاء أو زيادته كان يمثل خطرًا حقيقيًا؛ فإذا قصر النيل عن الوفاء فات أوان الزراعة، وإذا زاد عن الحد أغرق البلاد وتأخرت الزراعة، فيسبب قلقًا للناس، وينتابهم الخوف والذعر، ويسارعون لتخزين الغلال وترتفع الأسعار أكثر من المعتاد، ويتزاحم الناس على الأفران وحوانيت الغلال، وتضطرب الأحوال، وتحدث المجاعة ويضطر الناس إلى أكل الكلاب والقطط وسائر الدواب، أو للهجرة من القرى للمدن للبحث عن الطعام[1]، والمصدر الثانى: الآبار التى

---

(١) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر، المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): السلوك=

انتشرت فى المدن والقرى المصرية واعتمد عليها المصريون فى حالة انخفاض منسوب نهر النيل؛ فالقاهرة اعتمدت على نهر النيل فى الشرب والزراعة وعلى الآبار فى سد حاجتها، وكان المصريون يحفرونها بأنفسهم واستخدموها للشرب إذا كانت عذبة وللتنظيف والاستعمال اليومى إذا كانت مالحة[١]، كما اعتمدوا على الأمطار فى الشرب والزراعة وسقاية الحيوانات، ونظرًا لأن الأمطار فى مصر قليلة وتختلف فى كميتها ومواعيدها فقد صممت السلطات الحاكمة بعض الأساليب والوسائل للحفاظ على مياه الأمطار مثل الصهاريج التى يتجمع فيها المطر ويتم تخزينه طوال العام[٢].

ولكن اختلفت مصادر المياه العذبة من مدينة إلى أخرى، فمثلًا امتازت الفسطاط بموقعها على نهر النيل مما يسر لسكانها سبل الحصول على الماء العذب من النهر[٣]، حيث كان يحمله السقاءون في الروايا ويصعدون به الدور كل

=لمعرفة دول الملوك، ١: ٥٠٦، تحقيق محمد مصطفى زيادة، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة ـ دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م؛ الدوادار (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري، المتوفى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م): مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ٢٦-٢٧، ١٠١؛ العينى (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، المتوفى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١): عقد الجمان في تاريخ الزمان، ٣: ٢٧٥، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ـ الهيئة العامة، ١٩٨٧.

(١) ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ـ الهيئة العامة، ١٩٩٣م، ٩٠-٩١؛ المقريزى: المواعظ والاعتبار، ٢: ٢٢٥، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ٢٩٩٢ ـ ٢٠٠٤م؛ آدم صبره: الفقر والإحسان عصر سلاطين المماليك، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ـ المجلس الأعلى للثقافة والترجمة، ٢٠٠٣م، ١٨٦.

(٢) القلقشندى (شهاب الدين أحمد بن على، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م): مآثر الأنافة فى معالم الخلافة، ١: ١٨٦ تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت ـ عالم الكتب؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ١: ٣٩١، تحقيق محمد حلمى محمد، القاهرة، ١٩٧١م؛ المُسبحى (عز الملك بن ابى القاسم، المتوفى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م): نصوص ضائعة من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مجلة حوليات إسلامية ١٢ (١٩٨١)، ٣٢.

(٣) المقدسي (محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم،=

طبقة بنصف دانق[١] ، وكذلك الآبار أو الخزانات الأرضية حيث كانت المياه تُرفع من الآبار أو الخزانات الأرضية إلى الخزانات العلوية بالدار ، ثم توزع على كل أجزاء الدار عن طريق توصيلات من المواسير المصنوعة من الفخار[٢]. ومدينة القاهرة الواقعة شمال الفسطاط بعيدة عن نهر النيل وتقع على الشاطىء الشرقى للنيل اعتمدت بشكل أساسى على مياه نهر النيل[٣] ، وظلت حياتها رهنًا بالنيل بينما كان الخليج المصرى لا يجلب المياه إلا لمدة ثلاثة شهور عقب الفيضان وكانت مياه الآبار مالحة ولهذا كان لابد من تغذية المدينة من نهر النيل عن طريق السقائين[٤] ، وخاصة عندما نعلم بعدم وجود حمامات فى المنازل فلزم وجود سقاء

=ليدن ـ مطبعة بريل، ١٩٠٩م ، ٢٠٧؛ ابن رضوان (أبو الحسن بن رضوان بن على ، المتوفى سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) : دفع مضار الأبدان بأرض مصر ، (ضمن سلسلة الجغرافيا الإسلامية ، المجلد الخامس والأربعون الجزء الأول) ، فرانكفورت ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ٢٠؛ ناصر خسرو : سفرنامة ١١٩؛ المقريزى : الخطط ٢: ٥، ١٤٧، ١٥٠.

(١) دانق : لفظ يونانى مقداره ما يعادل وزن ٨ حبات شعير وسط أو سُدس درهم شرعى ، انظر المصباح المنير ، مادة دانق ، على جمعة محمد : المكاييل والموازين الشرعية ، القاهرة ـ دار القدس ، ٢٠٠١م ، ٢٤؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ٢٠٧؛ آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادى ، ٢: ٢٠٠، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م؛ السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات في مصر الفاطمية منذ الفتح العربي حتي نهاية العصر الفاطمي ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م ، ٣٧١؛ ستانلى لين بول : سيرة القاهرة ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م ، ١٠٨.

(٢) على بهجت وألبير جبريل : حفريات الفسطاط ، ترجمة علي بهجت ومحمود عكوش ، القاهرة ـ مطبعة ، ١٩٢٨م ، ٣٩، ١١٣؛ عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة ـ دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ٧٢؛ نجوى كمال كيره : حياة العامة فى العصر الفاطمى ، القاهرة ـ مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠٤م ، ٣٣٦.

(٣) ناصر خسرو : سفرنامة ٩٠؛ المقريزي : الخطط ٢: ٢٢٥.

(٤) اندرية ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ، ١٩٩١م ، ٤٩؛ إدوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، ترجمة=

يقوم بأداء هذه الخدمة للمجتمع لقاء أجر معلوم.

أما مدينة الإسكندرية فاعتمدت على مياه الأمطار[١]، أو الآبار، أو مياه نهر النيل التي كانت تأتيها عن طريق خليج الإسكندرية، الذي كان يمتلئ أيام زيادة نهر النيل فيملأ الصهاريج، ويؤكد الهروى أنه عندما يزيد النيل تصبح المدينة كأنها قارورة وضعت على الماء ولا يبقى دارًا إلا ويدخله الماء[٢]، وبالنسبة لأهالي الدلتا، فقد أجمعت المصادر على ملوحة ماء بحيرة تنيس معظم أيام السنة وعذوبته فترة قصيرة من العام، وعندئذ يقوم أهل المدينة الماء العذب وقت الفيضان في صهاريج ومصانع كبيرة عندهم فيستخدمونه بقية أيام السنة[٣]، وكذلك أهل

=عدلى طاهر نور، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ٢٨٠؛ صلاح هريدى: الحرف والصناعات فى عهد محمد على، القاهرة ـ دار المعارف، ١٩٨٥م، ٥١؛ محمد عبد الستار عثمان: «أسبلة القاهرة المملوكية»، الكويت ـ مجلة المتحف العربى، ع ٣، ١٩٨٧م، ٨٥-٨٦.

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم ١٩٧؛ ناصر خسرو: سفرنامة ٩٩؛ عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، القاهرة ـ الهيئة العامة، ١٩٨١م، ٥٦.

(٢) الهروى (أبى الحسن على بن بكر، المتوفى سنة ٦١١هـ/١٢١٤م): الإشارات لمعرفة الزيارات، تحقيق على عمر، القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢م، ٤٧؛ ابن جبير (أبى الحسين محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، القاهرة ـ مكتبة مصر، ١٩٩٢م، ٣١؛ ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى، المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ٢: ١٥١-١٥٢، تحقيق دوروتيا دروفسكى، القاهرة، ١٩٨٦م؛ جوزيف بتس: رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة والمدينة، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، القاهرة ـ الهيئة العامة، ١٩٩٥م، ٢٥.

(٣) ناصر خسرو: سفرنامة ٩٣؛ التنيسي (محمد بن أحمد بن بسام المحتسبي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): أنيس الجليس فى أخبار تنيس، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب، ١٩٦٦م، ١٧٩؛ ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى، المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ٢: ٦٠-٦١، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، بيروت ـ عالم الكتب، ١٩٩٠م؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ١: ٣٣، بيروت ـ دار صادر، ١٩٩٢م؛ المقريزي: الخطط ١: ٤٧٩.

دمياط وتونة وسائر قرى البحيرة وخاصة فى أوائل شهر طوبة حيث يكون ماء النيل أكثر نقاءً[١] ، وقد حرصت السلطات الحاكمة ببناء الأسبلة وهي من المنشئات والأعمال الخيرية الجاري ثوابها ، وأول بناء للأسبلة فى مصر في العصر المملوكي ابتداء من القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي وكان معظمها من أعمال الأمراء والسلاطين ونسائهم كأنها كفارة عن الذنوب والآثام[٢] ، أو صدقة جارية لأنفسهم أو لأبنائهم أو لأحد أقاربهم المتوفين وتحتها صهريج ملئ بالماء يستخدم للشرب ، ويسمح للمارة من كل الجنسيات والملل باستعمالها ولا ينقطع الماء عنها أبدًا[٣].

طائفة السقائين فى مصر

بالإضافة إلى الأسبلة التى يشرب منها الناس مجانًا فقد ازدحمت الشوارع والحارات فى المدن المصرية بلا استثناء بأفراد يتكسبون رزقهم من سقاية المارة فى الأسواق والمنازل وهم سقاءوا الكيزان وأصحاب الرَوايا والقِرَب والدلاء[٤] ، حيث كانت الآبار لا تكفى حاجة السكان وليست صالحة للشرب فى كل الأحوال ولذلك كانت الحاجة مُلحة لتغذية القاهرة وغيرها بماء النيل الذى كان يُنقل على أكتاف السقائين وعلى ظهور الجمال والحمير وتوزيعه مقابل مبلغ معين من المال

---

(١) المقريزى ، الخطط ١: ١٥٨.

(٢) علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٦: ١٧٣، القاهرة ، ١٣٠٥هـ

(٣) PETRO CASOLA, *Pilgrimage to Jerusalem,* trans by M. Margaret Newett, Manchester, 1907 p.248; MARTIN BAUMGARTEN, *The Travel of Martin Baumgarten through Egypt, Syria, Palestine,* London, n.d., p.442, A. VON HARFF, *The Pilgrimage of Arnold Von Harff,* trans by Letts Malcolm, London, 1946, p.111.

(٤) محمد فتحى الشاعر : الشرقية عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ـ دار المعارف ، ١٩٩٧م ، ١١٧.

ومن هنا فقد لعب السقاءون دورًا بارزًا فى حياة المصريين[١] ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يوزعون الماء فى الموالد وكان الأتقياء يستأجرونهم لتوزيع الماء مجانًا على الحجاج ومن يريد الشرب[٢].

أعداد السقائين

كَثُرت الجمال فى شوارع القاهرة والتى تحمل القِرب والرَوايا يطوف بها السقاءون وقد ذكر ناصر خسرو أن بالقاهرة ٥٢ ألف جمل يحمل عليها السقاءون الروايا بخلاف من يحمل الماء على ظهره فى الجرار النحاسية أو القرب وذلك فى الحارات الضيقة التى لا تسير فيها الجمال[٣] ، ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرًا بالنسبة لمساحة القاهرة وعدد السكان وربما يدل ذلك على مدى أهمية هذه الطائفة فى العصور الوسطى. وذكر ابن بطوطة أن بمصر من السقائين على الجمال حوالى ١٢ ألف سقاء[٤] ، أما بيرو طافور فلم يحدد عدد السقائين ولكنه شاهد عدد كبير من السقائين يروحون ويجيئون لبيع الماء التى يجلبونها على ظهور الجمال والحمير أو فى قِرَب على ظهورهم وذلك لكثرة عدد الناس[٥] ، وفى القرن ٨هـ/١٤م قدر البلوى المغربى عدد جمال السقائين الداخلة إلى القاهرة بالماء في كل يوم ، فبلغت مائتي ألف جمل ماعدا البغال والحمير والسقائين الذين بالزقرق

---

(١) محمد عبد الستار عثمان : أسبلة القاهرة المملوكية ٨٥- ٨٦، آدم صبرة : الفقر والإحسان ١٥٥، ١٨٩.

(٢) أولج فولكف : القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة ، ترجمة أحمد صليحة ، القاهرة - الهيئة العامة ، ١٩٨٦م، ٥٢.

(٣) ناصر خسرو : سفر نامة ١٠٦.

(٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٣٧.

(٥) بيرو طافور : رحلة طافور فى القرن ١٥، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة - دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م، ٩٨.

وغيرهم فإن ذلك شيء لا ينضبط ولا ينحصر وهذه الجمال المذكورة تحط بالمدينة في كل يوم من أيام الصيف سبع آلاف وفي الشتاء أقل من ذلك ، كما أحصى دكاكين السقائين المعدة للسقي بالقاهرة فبلغت ستين ألف دكان ما عدا السقائين الذين بالأكواز والأكواب في الطريق والأسواق وغيرها[١] أما الراهب فيلكس فابرى أكد وجود عدد كبير من حاملى الماء يجوبون الشوارع بالرَوَايا والقِرَب تتدلى من رقابهم وفى أيديهم كيزان يصبون بها الماء للمارة. مقابل عملات قليلة وهناك من يقدم الماء مجانًا وهناك أيضًا ٨ آلاف جمل مخصصة لنقل الماء مقابل مبلغ من المال[٢] ، وقد شاهد ميشولم اليهودى ما لا يقل عن ٤٠٠٠ ساقٍ يحملون الماء المعطر فى قِرب ويبيعونه مقابل ١ filipo[٣] ، أما الرحالة جوزفان جستيل أكد أنه لا يوجد مصدر للماء العذب بمصر سوى نهر النيل ولذلك يوجد بها ١٠ آلاف جمل عملهم الوحيد نقل الماء إلى داخل المدينة ، وكل جمل يدفع مبلغًا من المال للسلطان[٤] ، وهناك الرحالة برندبَاخ الذى ذكر أنه بمدينة القاهرة وحدها ٨ آلاف رجل يعيشون على نقل الماء من نهر النيل ثم بيعه للناس[٥] ، وقد زار القاهرة الرحالة الألماني فون هارف VON HARFF عام٩٠٢هـ/١٤٩٦م ووجد بها من ١٠ آلاف إلى ٣٠ ألف سقاء يجلبون الماء من النيل فى قِرب جلدية يطوفون بالماء طوال اليوم

---

(١) البلوى (خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن خالد ، المتوفى سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م) : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، تقديم الحسن السائح ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ، ١٩٦٤م ، ٥١.

(٢) FILIX FABRI, *Le voyage en Egypte,* ed. Masom Paris, 1975, vol 1, pp.569-570, vol 3. p. 921.

(٣) E. ADLER, *Jewish Travelers,* 1 ed, London, 1930, p.168.

(٤) JOOS VAN GHISTELE, *Voyage en Egypte (1842-1843), trans by, BAUWENS PREAUX, Bruxelles, 1975, pp.18-19.*

(٥) JOHAN LARRIVAZ, *Le Saints Peregrinations de Bernard de Breydenpah 1483,* Le Caire, 1904, p.57.

مقابل بعض المال وهناك أيضًا ٢٠ ألف جمل تحمل المياه على جانبيها[١] ، وتراوح عدد السقائين ما بين ٥٠ ألف إلى ٦٠ ألف سقاء قد سجلوا أنفسهم عند المحتسب وقاموا بدفع ضريبة معينة للحكومة مقابل ما يأخذونه من ماء النيل[٢] ، أما جان تينو رأى ١٠٠ ألف شخص يحملون حول أعناقهم قدورًا من المياه مصنوعة من جلد الماعز ويبيعونها للناس و٥٠ ألف جمل ينقلون الماء إلى المنازل[٣] ، وفى بداية القرن ١٦م ذكر ليون الإفريقى أن بالقاهرة حوالى ٣ آلاف سقاء يحملون القرب المملوءة بالماء مزخرفة وفى أفواهها أنابيب نحاسية وبأيديهم طاسات دمشقية منقوشة نقشًا فنيًا ويسيرون فى الشوارع ينادون على الماء[٤] ، ونتيجة لنشاط السقائين فقد كانت القدور النحاسية تؤجر لهم ليحملوا فيها الماء حيث يحكى الرحالة سفرنامه أن امرأة كانت تمتلك ٥ آلاف قدر من النحاس تؤجر الواحد منهم بدرهم فى الشهر[٥] وعلى أيه حال فمهما اختلف المؤرخون والرحالة فى تقدير وإحصاء أعدد السقائين وجمالهم ومهما كانت تلك الأرقام حقيقية أم مبالغ فيها فإنها فى النهاية تدل على أهمية هذه الطائفة فى المجتمع المصرى وتواجدها بصورة مكثفة فى الشوارع والحارات.

أماكن تجمعات السقائين

دلت بعض الوثائق على وجود السقائين داخل حى باب البحر فى العصر المملوكى حيث أشارت وثيقة بدر الدين الونائى إلى اسم حانوت للسقا تم فتحه فى

---

(١) ARLOND VON *HARFF, The Pilgrimage of Arnold Von Harff,* p.111, 124-125

(٢) DOOP, *Le Caire vu par le voyage,* tome 23, le Caire, 1951, p.144.

(٣) CHARLIS SCHEFER, *Le Voyage de Jean Thenaud et Dominico Trevisani,* Paris, 1864, p.47.

(٤) حسن الوزان (جون ليون الأفريقى) : وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجى ؛ محمد الأخضر ، ٢: ٢١٧-٢١٨، ط ٢، بيروت - دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٢م .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامة ١١٩.

هذا الحى لبيع المياه ،ومن المحتمل أن يكون الحى قد ضم أعدادًا كثيرة من السقائين لخدمة المنازل والمنشآت الدينية التى كان يضمها الحى ، ومما يرجح هذا الاحتمال هو قرب حى باب البحر من النيل حيث كان السقاءون يحرصون على القرب من مصدر المياه ، فكلما كانت المسافة أقل زاد توطن هذه الطائفة بالقرب من مصدر المياه لما كانوا يتكبدونه من معاناة أثناء سيرهم لجلب المياه[١] ، وسميت فى تلك الفترة «المقس» لأن العاشر وهو المكّاس كان يقعد به ويستخرج المال فقيل المكس ثم عُرِبَ فقيل المقس[٢] ، وكانت أم دنين في عهد الفاطميين موردة ترسو فيها السفن ، ومكانها بشمال حديقة الأزبكية ، وأم دنين والمكس والمقسي والمقسم كلها أسماء مترادفة لقرية أم دنين[٣] ، وظلت تلك المنطقة تعرف بالمقس حتى قام السلطان صلاح الدين الأيوبى ببناء باب يطل على النيل عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م وذلك بنهاية السور الشمالى الغربى للقاهرة وأسماه باب البحر نظرًا لأنه يطل على النيل ، وكذلك أطلق عليه باب المقس لوقوعه فى قرية المقس[٤] ، وفى عهد الأشرف خليل بن قلاوون زاد نهر النيل إلى ١٨ ذراعًا فسد باب المقس المعروف بباب البحر[٥].

---

(١) محمد الجهينى : أحياء مصر القديمة وآثارها الإسلامية «حى باب البحر» ، القاهرة ـ دار الوفاء ، ٢٠٠م ، ١٣٥؛ يمكن تحديد مكان منطقة باب البحر حاليًا بأنها المنطقة الواقعة من بداية حى الجيش إلى أن يلتقى مع حى كلوت بك ، وقرية أم دُنين الآن هى ميدان رمسيس .

(٢) ابن عبد الظاهر (محي الدين عبد الله بن رشيد ، المتوفى سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) : الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ـ الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٦م ، ١٢٥؛ القلقشندى : صبح الأعشى ٣: ٣٥٧؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤: ٥٣.

(٣) على مبارك ، الخطط التوفيقية ٣: ١٠٤ـ١٠٥؛ عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٧، ١٦.

(٤) عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ١٩.

(٥) المقريزى ، الخطط ٢: ٢٥٤.

وقد خُصص موضع على الخليج الكبير عُرِفَ بموردة السقائين ليتزودوا منه بالماء، فلما أنشأ السلطان الصالح نجم الدين الأيوبى الميدان السلطانى عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م بأرض اللوق اضطر لإنشاء قنطرة الخرق ليمر عليها للميدان[١]، وعند باب السعادة على ساحل النيل كانت موردة للسقائين وقد حاول الوزير يانس الفاطمى بناء مسجد فى المكان ولكن المأمون رفض لأن ذلك يضر بالسقائين والتجار، وبعد وفاة المأمون بنى المسجد[٢]، وكذلك موردة البلاط كانت جزءًا من بستان الخشاب ثم حفر الناصر محمد الخليج الناصرى من بدايتها حتى الميدان الناصرى[٣]، أما موردة الحلفا على النيل تكونت بعد انحسار النيل عدة مرات أمام الفسطاط فأصبحت ميناء للمراكب وموردة للسقائين[٤]، وقد ذكر المقريزى فى عصره أن فى حارة زويلة بئرًا أطلق عليه بئر زويلة كان يملأ منه السقاءون الروايا[٥]، وفى خط البندقانيين كان يوجد بئر وضع عليه حجر أُعدت ليملأ السقاءون منها واستمر ذلك فترة طويلة حتى أنشأ مكانه أصطبل الجميزة[٦].

---

(١) المقريزى، الخطط ٣: ٤٩٢-٤٩٣، موردة: تعنى الطريق إلى الماء، انظر، العجم الوسيط، المعجم الوجيز، القاموس المحيط. أرض اللوق: ومعناها الأرض اللينة فإذا انحسر عنها ماء النيل لا تحتاج إلى الحرث ولذا فهى أرض زراعية لينة يزرع بها البساتين والمحاصيل ولم يوجد بها بناء إلا فى عام ٦٦٠هـ، انظر: سعاد ماهر: القاهرة وأحياؤها القديمة، القاهرة، ١٩٦٧م، ٦٠.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٧.

(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار ٣: ٤٨٢، وموردة البلاط والميدان السلطان الآن يشغل جزء من حى جاردن سيتى على امتداد من شارع عائشة التيمورية جنوبًا حتى شارع عبد القادر حمزة شمالًا، انظر: محمد الششتاوى: متنزهات القاهرة، القاهرة - دار الآفاق، ١٩٩٩م، ٤٢.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار ٢: ١٦٣؛ ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى، المتوفى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت، ب.ت، ٤: ٧٧، وموردة الحلفا الآن تحد من الجنوب بمنطقة دير النحاس بجوار نفق الملك الصالح وتمتد شمالًا حتى سور مجرى العيون بفم الخليج، انظر: الششتاوى، متنزهات القاهرة، ٣٤.

(٥) المقريزى: المواعظ والاعتبار ٣: ١٠.

(٦) المصدر نفسه ٣: ٣٤٥.

كما كان لبعض السقائين حوانيت يبيعون فيها المياه حيث يأتى إليهم سقاءوا الجمال ليفرغوا الماء فى الأزيار ثم يقومون ببيع كيزان الماء للمارة وهؤلاء اطلق عليهم سقاءوا الكيزان وأحد تلك الحوانيت كان بجوار جامع الآمير آق سنقر فيما بين باب الوزير والتبانة[١]، وشارع حارة السقائين: أوله من آخر شارع الشيخ ريحان وآخره شارع درب الحمام ومن جهة اليمين درب الخولا وسكة الدروة بداخلها درب الميضأة وعطفة عريان ودرب الصبان، وبه القراقول المعروف بقراقول حارة السقائين[٢]، وبحكم عمل السقائين فقد عاشوا فى شارع القربية الذى يبدأ من شارع باب زويلة وكان به حوانيت لبيع القرب والدلاء[٣]، وكان هذا الحى مكانًا مناسبًا لسكنى السقائين لأنه بذلك يتوسط ما بين القاهرة والفسطاط مما سهل على القربيين التعامل مع السقائين إلى جانب أن باب زويلة كان معبرًا رئيسيًا للسقائين من الخليج إلى القاهرة والعكس، ويتبين لنا وجود ترابط بين أماكن إقامة السقائين وبين أماكن جلب المياه من مصادرها.

أجرة السقائين

وهنا نتساءل كيف كان يحصل السقاءون على أجرتهم من أصحاب المنازل والمنشآت مثل المعاصر والطواحين والأفران وغيرهم وهؤلاء يمكن تسميتهم بالعملاء ؟ ويمكن الإجابة عن هذا السؤال ـ عن طريق ما ذكره المستشرقون الذين زاروا مصر فى العصر العثمانى ومن المؤكد أن أحوالهم لم تتغير كثيرًا ـ كان الساقى ينادى فى الشوارع والطرقات بعبارات معينة لينبه الناس بوجوده فيفتحون أبواب منازلهم ؛ فمن نداءاتهم «سبيل يا عطشان»، «الجنة والمغفرة يا صاحب

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار ٤: ٢٣٩.

(٢) على مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ٩٠.

(٣) المرجع نفسه ٣: ٦١.

السبيل» ، «يا رب عوض عليّ»[١] ، «العوض على الله ..... عليه العوض»[٢] ، ثم يتوجهون إلى المنازل والمنشآت الخاصة ويقومون بصب المياه فى الخزانات والأزيار ، ولكى يحصل على أجرته فكان يتبع طرقًا مختلفة فأحيانًا كان يسجل على باب المنزل خطوطًا بعدد القرب التى أحضرها وأحيانًا كان يستخدم عقدًا من الخرز الأزرق يسحب منه خرزة عن كل قِربة يحضرها وعندما تنتهى كل خرزات العقد يحسب أجرته[٣] ، أما سقاءوا الرَوَايا والقِرب فكانوا يَبيعون المياه فى الأسواق للمارة مقابل قطعة من الخبز أو أى نوع من الطعام وأحيانًا بلا مقابل من الفقراء[٤] ، حيث كان بعض الأغنياء يؤجرون هؤلاء السقائين لبيع المياه مجانًا رغبة منهم فى تقديم هذه السلعة صدقة للفقراء[٥] ولتشجيع هذا العمل النبيل سمح للسقائين بأخذ الماء بدون مقابل من الأسبلة فضلًا عن أنهم أعفوا من دفع الضرائب[٦].

أما إذا عمل السقاءون فى خدمة السلطة الحاكمة كان لهم أجر مختلف ، فهؤلاء شكلوا نسبة كبيرة من الفقراء مثل الحمالين والحلاقين والمكارية وغيرهم من أصحاب المعايش والأرزاق فلم يكن لهم نصيب عادل فى الأجور. فقد أشارت المصادر التاريخية إلى حقوق هؤلاء ؛ حيث حدد الخليفة المعتضد الفاطمى رواتب أصحاب الحرف والمهن فى القصر ومنهم السقاءون بالقِرب ومن يعمل بالروايا على

---

(١) ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون ، ترجمة عدلى طاهر نور ، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠١٣م ، ٢٨٢.

(٢) كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ، ٢٠١١م ، ٥٩٢.

(٣) اندريه ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى ١٠٠-١٠١.

(٤) ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون ٢٨٢، أولج فولكف : القاهرة ٥٢.

(٥) جاستون فيت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ترجمة وتحقيق مصطفى العبادى ، القاهرة ـ دار عين ، ط ١، ٢٠٠٨م ، ٧٢.

(٦) أولج فولكف : القاهرة ٥٢؛ جاستون فيت : القاهرة مدينة الفن ٢٨٢.

البغال والخزائن والمطابخ والمخابز والدور والبوابين والخدم وغيرهم بمبلغ ١٢٠ دينارًا فى الشهر[١]، أما رواتب السقائين والحبالين والقواديس وأمثالهم من العاملين فى الجامع الأزهر وصلت إلى خمسة عشر دينارًا ونصف فى السنة[٢].

وعندما وقع وباء عام ٧٧٦هـ/١٣٦٥م مات الكثيرون فتوقفت أحوال الناس وقلت الأجور مع زيادة الغلاء ولم يزد أجر العمال من البنائين والفعلة والحمالين ونحوهم واستقرت كما كانت قبل الغلاء فمن كان يتكسب درهمًا فى اليوم صار يعيش به ولا يبقى منه شيئًا وأحيانًا لا يجدى شيئًا[٣] ويدل هذا على تدنى المستوى المادى لتلك الطوائف.

المهن المرتبطة بطائفة السقائين

ارتبطت طوائف حرفية بطائفة السقائين نظرًا لأنها حرف مساندة لها؛ مثل حرفة الفاخورى وظهر ذلك واضحًا من خلال بعض الوثائق العثمانية التى أوضحت لنا أن رئيس هذه الحرفة أو ما نسميه العريف كان يقيم داخل حى باب البحر فى بداية القرن السابع عشر الميلادى، وهؤلاء الصناع كانوا يصنعون القُلل والأزيار التى استخدمها السقاءون، وكان هناك مصنع تصنع فيه هذه الأدوات بالقرب من الأزبكية غير بعيد عن باب البحر، إلى جانب حرفة القِربَى حيث كان هناك سوق تُصنع فيه القِرَب يقع بالقرب من تواجد السقائين من باب زويلة وحتى باب بالبحر إحدى مناطق دخول السقائين، كما كان هناك ثلاث طوائف تخصصت فى صناعة وإصلاح وبيع القِرَب الجلدية وسمى الحى كله باسم حى

---

(١) الصابئ (أبى الحسن الهلال بن المحسن، المتوفى سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دمشق ـ مكتبة الأعيان، ١٩٠٤م، ٢١.

(٢) المقريزى: المواعظ والاعتبار ٤: ٩٩.

(٣) المقريزى: السلوك ٣: ٢٣٤.

القربية، وكان يفتح كل أيام الجمع حتى الظهر لخدمة السقائين داخل حى باب البحر وباب زويلة[١].

التدرج الوظيفى فى طائفة السقائين

- **العريف**: هو شخص يختاره المحتسب ويجعله رئيسًا على كل حرفة ويتصف بسمات خاصة فيجب أن يكون خبيرًا بحرفته ومشهورًا بالثقة والأمانة ومشرفًا على أحوالهم ويخبر المحتسب بما يحدث بين أبناء الطائفة الواحدة وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع وما تستقر عليه الأسعار كما يجب عليه الحفاظ على حقوق الحرفيين[٢].

- **سقاءو الكيزان**: هم أصحاب حوانيت الماء وكانوا يبيعون الماء للمارة بالأجرة ويضعون الماء فى أزيار مغطاة من خوص مصلب الجريد ويقدمون لهم الماء فى كيزان نظيفة معطرة[٣]، ثم تطور اسم سقائى الكيزان إلى السقا شربة وهم سقاءون يزودون المارة بالماء ويحملون قِرب جلدية ذات أنبوبة نحاسية طويلة يصبون الماء للظمآن فى طاس نحاسية أو قُلة فخارية[٤].

- **سقاءو الجمال**: نظرًا لضخامة حجم الراوية وثقل وزنها كانت هناك طائفة

---

(١) اندريه ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعى ١٠٤.

(٢) ابن بسام (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، توفى المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق محمد حسن وأحمد فريد المزيدى، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٩٦-٤٢٧٠؛ الشيرازى (عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله): نهاية الرتبة ٢١٧، ضمن كتاب الحضرمى، كتاب السياسة أو الإشارة فى تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

(٣) ابن الأخوة (محمد بن أحمد القرشى المعروف بابن الأخوة، المتوفى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م): معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوى، القاهرة - مكتبة المتنبى ب.ت، ٤٢٣٩؛ ابن بسام: نهاية الرتبة ٣٠١.

(٤) ادوارد وليم لين: المصريون المحدثون ٢٨١.

من السقائين تستخدم الجمال لنقل الروايا من مصدره على الجمال إلى حوانيت السقائين فأطلق عليهم سقاءو الجمال[١].

- **سقاءو القِرَب** : وهم حاملو الماء على ظهورهم أو على أكتافهم أو فى رقابهم أو على الحمير فى قِرب لحى باب البحر وحى باب اللوق وطائفة فى حارة السقائين وفى قناطر السباع وقد تفننوا فى تزيين فوهاتها بزخاف مختلفة[٢].

- **سقاءوا السبيل** : وكان مقرهم فى حى باب زويلة، وهم دراويش الصوفية وكانوا يحملون إبريقًا من الفخار به ماء معطر ولا يدفعون ضريبة لأنهم يوزعون الماء على المارة مجانًا أو مقابل قطعة خبز ويسقون الناس فى المواكب والأسواق والمساجد وقد ظلت تلك الطائفة حتى القرن التاسع عشر حيث أطلق عليهم حملى ويرددون «الجنة والمغفرة لك يا صاحب السبيل ... سبيل الله يا عطشان»[٣].

كيفية اختيار السقاء

والسقاؤن كأصحاب حرفة كان لهم رئيس مسئول عن اختيار السقاء، ولكى يستطيع المتقدم أن يُقبل عضوًا فى الطائفة فكان عليه أن يجتاز امتحانًا يُثبت به جدارته على تحمل مشاق المهنة، وكما ذكر ليون الأفريقى أن أحد السقائين راهن الناس أن يحمل على كتفه قربة من الجلد مملوءة بالماء ومربوطة بسلسلة من حديد لسبعة أيام متوالية من الصباح حتى المساء وتمكن فعلًا من كسب الرهان فنال

---

(١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٣٧؛ البلوى المغربى : تاج المفرق ٥١، JOOS VAN GHISTELE, *Le Voyage en Egypte*, p.19.

(٢) حسن الوزان : وصف أفريقيا ٢١٧؛ اندرية ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى ٥٨.

(٣) ادوادر وليم لين : المصريون المحدثون ٢٨٢؛ اندرية ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى ٥٩.

تكريمًا من الجميع واحتفلوا به احتفالًا كبيرًا ضم المغنين وجميع السقائين بالقاهرة[١] ، ولعل ما شاهده ليون لم يكن رهانًا كما ظن أنما كان فى الواقع اختبارًا لأحد المبتدئين الراغبين فى الانضمام إلى طائفة السقائين. بدليل أن ريمون أندريه أكد أن السقاء كان يمر باختبار مبدئى للقبول فى المهنة حيث كان عليه أن يحمل قربة أو كيسًا مليئًا بالرمل يزن ٦٧ رطلًا لمدة ثلاثة أيام دون أن يُسمح له بالاستناد أو الاستراحة أو النوم فاذا نجح فى الاختبار انضم الى طائفة السقائين[٢] ورغم المبالغة فى كيفية الاختبار إلا أنه يؤكد ضرورة تمتع السقاء بمواصفات خاصة ليستطيع نقل الماء لمسافات طويلة فى كل الأوقات.

الالتزامات والقواعد المفروضة على السقائين

نظرًا لأن الماء هو قوام الحياة وبدونه لا تستمر ، ونظرًا لأن المصريين اعتمدوا على السقائين اعتمادًا مباشرًا فى الحصول على الماء العذب فكانوا يدخلون كل البيوت ويتعاملون مع كل الطبقات ، كما ارتبطت هذه الحرفة بالصحة العامة للسكان فلم تُترك بدون رقابة أو إشراف ، ومن خلال كتب الحسبة والفقه يمكن عرض قواعد وشروط المهنة :

١ - يُسمح للسقائين أخذ كمية محددة من النهر حوالى ٢٤ دلوًا وكل دلو ٤٠ رطلًا فى اليوم الواحد[٣] على ألا يأخذ الماء قريبًا من البر لأنه فى الغالب يكون به فضلات أو تراب ولا من مكان يملأ منه المساكن التى على النهر أو موضع سقاية الدواب والحمام ، ولذا فيجب على السقا أن يدخل فى النهر حتى يرى نظافة ونقاء

---

(١) حسن الوزان : وصف أفريقيا ٢١٨.

(٢) اندرية ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى ٩٧.

(٣) المقريزى : الخطط ٢: ٥١٦.

الماء[١]، وقد أفتى الأئمة والفقهاء بعدم البناء على النهر لأنه يسبب ضررًا بالغًا للمسلمين ويمنعهم من أخذ الماء للشرب وبذلك يمنع أصحاب الدور السقائين من أداء عملهم[٢]، بالإضافة إلى أن أصحاب المنازل لم يحافظوا على نظافة مياهه فيلقون الفضلات فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء[٣].

٢- ينبغى عليه ألا يملأ بالليل وإذا اضطر لذلك فيجب أن يدخل فى النهر، وأن يكون الوعاء نظيفًا وكذلك يديه[٤].

٣- ينبغى أن يملأ القربة كاملة بدون نقصان وتكون سالمة من الخرق[٥]، وإذا كانت الزاوية أو القِرَبة جديدة أو قديمة وتم دهنها فيجب أن يوضح ذلك للمشترى ويخبره بأن الماء غير طاهر[٦]، لأنه بذلك يكون غير صالح للشرب ويمكن استخدامه فى الطواحين والمعاصر ومعاجن الطين لفترة من الزمن[٧].

---

(١) العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسىُ، المتوفى سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م): المدخل إلى الشرع الشريف، تحقيق أحمد فريد المزيدى، القاهرة ـ المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ٤: ١٦٤؛ ابن الأخوة: معالم القربة ٢٤٠، الشيزرى: نهاية الرتبة ٢٧٥، ابن بسام: نهاية الرتبة ٣٠٠).

(٢) العبدرى: المدخل ١: ٢٤٢؛ ابن شاهين الظاهرى (غرس الدين بن خليل بن شاهين الظاهرى، توفى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م): نيل الأمانى فى ذيل الدول، ٨: ٢٢٩، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت ـ المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصرى، المتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ٣: ٢٨٣، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

(٣) المقريزى: المواهظ والاعتبار ٢: ١٤٧-١٤٨.

(٤) العبدرى: المدخل ٤: ١٦٩.

(٥) المصدر نفسه ٤: ١٦٥

(٦) العبدرى: المدخل ٤: ١٦٦.

(٧) ابن الأخوة: معالم القربة ٢٤٠؛ الشيزرى: نهاية الرتبة ٢٧٥؛ ابن بسام: نهاية الرتبة ٣٠٠.

٤- يجب أن يغطى الرَّاوية بغطاء سميك حتى لا يسكب الماء ويؤذى المارة[١]، ولذلك كان السقاءون يضعون أجراسًا حديدية أو نحاسية فى أعناق دوابهم لتحدث صوتًا عاليًا لينتبه المارة[٢].

٥- ولا ينبغى على السقاء العراك بالألفاظ البذيئة مع إخوانه فى الحرفة فيما بينهم أمام المارة لأن ذلك يتنافى مع الآداب العامة للطريق وهنا يحق للمشترى ألا يبتاع منه الماء[٣].

٦- ينبغى عليه أن يمشى بالجمل مشيًا معتدلا ولا يسرع فيضر الناس فى الطريق بسقوط الماء من الرَّاوية المتدلية على جانبى الجمل كما يصيبهم الفزع ويتعب الجمل لأنه فى طبيعته لا يستطيع الجرى مع الحِمل[٤]، كما يأمر أصحاب الرَّوايا أن يضعوا الأحمال عن ظهور الدواب لأنها إذا وقفت تسبب الضرر للحيوان وذلك تعذيبًا له[٥].

٧- كذلك لم يتجاهل المحتسب الالتزامات الأخلاقية والأدبية، نظرًا لأن السقاء بحسب مهنته كان يسير فى الشوارع والطرقات ويدخل المنازل فألزمه المحتسب بأن يغض البصر ولا ينظر إلا فى موضع قدمه وموضع سكب الماء ويلتزم الأدب فى الطريق العام حتى لا يسبب الإحراج للنساء أو يكون سببًا فى

---

(١) العبدرى: المدخل ٤: ١٦٦؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢: ٢٠١؛ جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن. ٦٦.

(٢) ابن الاخوة: معالم القربة ٢٤٠؛ الشيزرى: نهاية الرتبة ٢٧٥؛ جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن ٧٢.

(٣) العبدرى: المدخل ٤: ١٧٠.

(٤) المصدر نفسه ٤: ١٦٧.

(٥) الماوردى (على بن محمد بن حبيب الشافعى، المتوفى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق أحمد جابر بدران، القاهرة ـ دار الرسالة، ٢٠٠٢م، ١٩٧؛ الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ٢١٨.

الفتنة[١] ، وإذا اضطر السقاء أن يكون له صبيًا فيجب أن يكون عفيفًا أمينًا.

٨- يجب عليه أن يختار الوقت المناسب لتوصيل الماء للمنازل فلا يطرق الأبواب فى الوقت الذى يرغب الناس فيه عن سكب الماء مثل وقت القيلولة أو فى آخر النهار أو وقت الحر[٢].

٩- ويحذر المحتسب السقائين أن يصلوا على النبى أثناء سيرهم فى الشوارع ليفسح لهم العامة الطريق فيقولون «صلوا على النبى محمد» وقد نهى العلماء عن ذلك لأن الصلاة على النبى لا تكون إلا على سبيل التعبد والتقرب وليست لهدف آخر دنيوى[٣].

١٠- أما بالنسبة للسقائين أصحاب الكيزان ، فقد ألزمهم المحتسب بنظافة الأزيار وتغطيتها بأغطية من الخوص مثبتة بالجريد وغسل الكيزان وجليها بالشقف والأشنان كل يوم ويبخروها لأنها تتغير من أفمام الناس ولا يخلطوا ماء النهر بغيره ، وليكن الكوز متوسط الحجم ويلزمه أيضًا بتعليق الكيزان فى الهواء الطلق فتبرد فيستمتع المشترى بالماء المبرد ، وكان على صاحب الحانوت أن يقدم الماء فى كيزان مختلفة وفقًا لمكانة المشترى الاجتماعية[٤] ، وفى أحيانٍ أخرى كان الساقى يطهر الكيزان كل ليلة بشمع المسك والعنبرى واللادن الطيب[٥] ويستخدم البخور

---

(١) العبدرى : المدخل ٤: ١٦٨،

(٢) المصدر نفسه ٤: ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه ٤: ١٧٠.

(٤) ابن الأخوة : معالم القربة ٢٣٩.

(٥) اللادن : هو صنف من القسوس ويسميه بعض الناس ليدون وورقها أطول وأشد سواد وفى الربيع لها زهر قابض يلتصق بيد اللامس وهو لا يشبه الرمل وليس بهش يشبه الراتينج ويوجد منه بقبرص والذى فى بلاد المغرب أفضل نوع ، انظر ، ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن البيطار) : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤: ٩٠.

كل ثلاثة أيام[١].

١١- يُحرم عليه أن يسقى المجذوم والأبرص وأصحاب العاهات والأمراض الظاهرة من الكيزان التي يشرب منها الآخرين[٢].

١٢- ولم يتجاهل المحتسب السقائين أرباب القرب والروايا والدلاء فكان يمنعهم من استعمال مواد حافظة للماء إلا من الجلد عالى الجودة والمدبوغ بالقرظ اليمانى أو المصرى[٣] ، ويفضل استخدام جلد الماعز المصبوغ بالعصف لأنه يزيد من متانة القربة ولا يمكن استخدام جلد البغل أو أى جلد قذر متآكل[٤].

١٣- ألزم السقائين أن يلبسوا سراويل قصيرة تستر عوارتهم وتساعدهم فى نزول النهر بسهولة[٥] ، وهكذا كان المحتسب شديد الحرص على الاهتمام بالصحة ونظافة البيئة ، كما كان يتفقد الحوانيت ليلًا فى غفلة من أصحابها فمن لم يلتزم بهذه التعليمات عاقبه عقابًا قويًا وأغلق حانوته وأراق الماء على الأرض[٦].

---

(١) ابن بسام : نهاية الرتبة ٣٠١.

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن الأخوة : معالم القربة ٢٤٠؛ ابن بسام : نهاية الرتبة ٣٧٩-٣٨٠ القرظ : اسم لثمرة الشوكة المصرية المعروفة بالسنط ، وقال عنها ديسقوريدوس : تنبت بمصر وهي شوكة لاحقة في عظمها بالشجر وأغصانها وشعبها ليست بقائمة .وذكرها أبو حنيفة : ولها سوق غلاظ ، وخشب صلب إذا تقادم أسود كالأبنوس وقبل ذلك يكون أبيض ويسمى بمصر السنط ومنه أجود حطبهم وهو ذكي الوقود قليل الرماد ورقه أصغر من ورق التفاح وله حلبة مثل قرون اللوبيا وحب يوضع في الموازين يدبغ بورقه وثمره ، إنظر ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ٤: ١١.

(٤) جاستون فيت : القاهرة مدينة الفن ٧٢.

(٥) ابن بسام : نهاية الرتبة ٣٠١؛ المقريزى : المواعظ والاعتبار ٢: ٥١٥.

(٦) ابن الأخوة : معالم القربة ٢٣٩.

مهام وتكاليف أخرى للسقائين

كانت السلطات الحاكمة تُكلف السقائين بالتواجد فى الشوارع لإطفاء الحرائق وبالتالى كانوا جزءًا من الحراسة الأمنية ليلًا المرافقة للشرطة. فكان والى القاهرة يرغم السقائين والقربيين والعرفاء على التواجد باستمرار فى شوارع القاهرة وخاصة عند سجن المعونة لاستدعائهم متى دعت الحاجة لهم فى مقابل تقديم العشاء يوميًا لهم[١] ، وقد تعرضت القاهرة فى العصر المملوكى لعدة حرائق فى أماكن مختلفة ولأسباب متنوعة منها : الطبيعية أو البشرة وأحيانًا كان الحريق يستمر عدة أيام ، وكان لزامًا على السقائين إطفاء الحريق بأمر من الوالى أو السلطان وخاصة أنه فى ذلك العصر لم يكن هناك ما يعرف بفريق الإطفاء بل كان أولئك السقاءون يقومون بهذه المهمة ونورد فى ذلك بعض الحرائق التى أطفأها السقاءون. ففى عام ٧٢١هـ/١٣٢١م وقع حريق بالقاهرة نتيجة فتنة عظيمة بين المسلمين والنصارى حيث قام المسلمون بهدم بعض كنائس للنصارى الذين أضرموا النيران فى عدة أماكن بداية من ربع الشوائين وحارة الديلم وعلى الفور اتجه الأمراء إلى موقع الحريق ولكنهم عجزوا عن إخمادها فنزل نائب السلطان ومعه جميع الأمراء وسائر السقائين ووكل الأمير بكتمر الساقى الأمراء يقفون على أبواب القاهرة «لمنع السقائين من العودة فلم يبق أحد منهم إلا وشارك فى الإطفاء واضطروا لنقل الماء من المدارس والحمامات وصار الماء من باب زويلة إلى حارة الديلم من كثرة السقائين والجمال التى تنقل الماء» واستمر ذلك من السبت إلى الثلاثاء حتى انتهى الأمر[٢] ، ثم أمر السلطان بأن «يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زير ودن

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ٣: ١٠٠، تحقيق محمد حلمى محمد، القاهرة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧١م .

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار ٤: ١٠٧٠ـ ١٠٧١، السلوك ٢: ٢٢٠ـ ٢٢٢، ابن تغرى بردى :=

ملآن ماء وكذلك بسائر الحارات والأزقة وبلغ ثمن كل دن ٣-٥ دراهم وكل زير ٨ دراهم لكثرة طلبها»[١].

كما كان كل حى من أحياء القاهرة يختص به مجموعة من السقائين يقومون برش الحى مرتين بالنهار نظير أجر معين، فنراهم يقومون برش الطريق ما بين مصر والقاهرة فى الأيام التى يركب فيها الخليفة مقابل دينارٍ واحدًا، وكان الوالى يرغم السقائين على عمل ذلك بالسُخرة بغير أجر فمُنِعَ ذلك[٢]، وقد تعجب الرحالة جان تينو من نظافة شوارع القاهرة حيث شاهد «السقائين يقومون برشها بالمياه لترطيب المدينة نتيجة ارتفاع درجة الحرارة»[٣]، أما الرحالة اليهودى ميشولم رأى بالقاهرة ١٠ آلاف شخص يرشون الشوارع لتهدأ ثورة الغبار والأتربة[٤]، كما لفت ذلك دهشة الراهب فيلكس فابرى وبرندباخ؛ فذكرا أن هناك «عددًا كبيرًا من الرجال بجمال زينوها بقوارير المياه الممتلئة من نهر النيل تجولوا بها فى شوارع القاهرة لرش أرضها لقمع الغبار وإذا لم يتم ذلك بصورة منتظمة لاختنق الناس من هذا الغبار»[٥].

=النجوم الزاهرة ٩: ٦٣-٦٥؛ ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر عبد الله بن أيبك، المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت ويمر، القاهرة، ١٩٦٠م، ٣٠٦.

(١) المقريزى: السلوك ٢: ٢٢٢.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا ٣: ١٠١.

(٣) JOOS VAN GHISTELE, *Le Voyage en Egypte*, p.19, CHARLIS SCHEFER, *Le Voyage de Jean Thenaud et Dominico Trevisani*, p.47

(٤) EREN ADLER, Jewish Travelers, p.168.

(٥) J. LARRIVAZ, *Le Saints Peregrinations de Bernard de Breydenpah*, p.57, FILIX FABRI, *The Book of the Wandering of Felix Fabri (1480-1483 A.D)*, trans. by Aubrey Stewart, London,1896, vol 2 p.447, 527, 571, vol 3, p.921, 924.

كما كانوا يخرجون مع الجيش ويسيرون فى صحبته وذلك لإمداد الجنود بما يلزمهم من المياه[١] ، وكذلك في مقدمة المواكب الخاصة بالشخصيات الهامة[٢] ، أو في المناسبات الاجتماعية مثل يوم دوران المحمل[٣] أو فى موكب رؤية هلال رمضان[٤].

أحيانًا كان السقاءون يلعبون أدوارًا أخرى فى الدولة إما مجبرين عليها أو برضاهم ؛ ففى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٦م تعاظم نفوذ النصارى وتولوا مناصب هامة فتعصب الناس وشكوا السلطان وأمسكوا اليهود والنصارى فى الطرقات وأضرموا فيهم النار فاختفوا فى بيوتهم وامتنع السقاءون عن نقل ماء النيل إلى بيوت النصارى فاضطروا إلى استعمال مياه الآبار واستمر ذلك عدة أيام[٥] ، وفى أثناء الصراع بين يلبغا الناصرى والظاهر برقوق عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م اتخذ الظاهر برقوق احتياطاته لتأمين القاهرة فأخبره سقاءو بلبيس باقتراب جيش يلبغا الناصرى من دمشق وأنهم سوف يصلون بلبيس اليوم أو الغد[٦].

صعوبات واجهت السقائين

لم يسلم السقاءون من صعوبات وعقبات فى عملهم كانت تجبرهم على عدم أداء عملهم بصورة جيدة ؛ حيث كان للظروف الطبيعية والبشرية تأثيرٌ سلبيٌ على

---

(١) حلمى محمد سالم : حرف وصناعات ١٧٩.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ٣: ٣١.

(٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ٤٧.

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ٣: ٢٠٢.

(٥) المقريزى : السلوك ٢: ٩٢٢-٩٢٥.

(٦) ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبد الرحيم ، المتوفى سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) : تاريخ ابن الفرات ١/٩: ٨٠، تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت ، ١٩٤٢م.

السقائين وعلى أسعار المياه ؛ فإذا كان النيل المصدر الأساسى للسقائين إلا أنه سبب صعوبات لهم تمثلت فى تراجعه تدريجيًا نحو الغرب مبتعدًا عن القاهرة نتيجة لتغير منسوبه كل فترة. وقد بدأ تراجع النيل بعد عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م وزاد نحته للشاطىء الغربى وزاد ترسيبه فى شاطئه الشرقى إلى ما بعد ٧٠٠هـ/١٣٠٠م فأصبحت المسافة بين القاهرة والبر الغربى أضعاف ما كان من أجل انطراد ماء النيل عن بر مصر الشرقى»[١] ، وبالطبع أدى ذلك إلى تحمل السقائين مشقة ومتاعب جمة فى سبيل الحصول على الماء ، وقد أشار السيوطى إلى ذلك قائلًا «وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء لبعد الماء»[٢] ، ومع استمرار ابتعاد النيل عن القاهرة كان سقاءو القاهرة يفضلون جلب الماء من الخليج رغم محاولة السلطات المملوكية منعهم من ذلك وقت التحاريق حيث تكون مياهه ضحلة وغير صالحة للشرب ، إلا أنهم لم يستجيبوا لأنه كان يمتد بحذاء أسوار القاهرة الغربية فهو بذلك أكثر قربًا للقاهرة مما يساعدهم على نقل المياه عدة مرات فى اليوم بأقل مشقة وتعب[٣] ، وفى عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م قل ماء النيل وجف الشاطىء حتى صار ما بين المقياس ومصر ومن بولاق إلى منشأة المهرانى ومن بولاق إلى جزيرة الفيل والمُنية طريقًا واحدًا يمشى فيه الناس وانحسر الماء وبالتالى بَعُد الماء عن السقائين واضطروا إلى جلب الماء من قرية مُنبابة فبلغ سعر الراوية درهمين بعد ما كانت بنصف درهم وربع درهم فشكا الناس للسلطان فأمر

---

(١) المقريزى : الخطط ٣: ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م) : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ٢: ٢٩٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، وانظر لمزيد من التفاصيل عن انحسار نهر النيل وتحويل تيار النيل عن شاطئه الغربى إلى الشرقى ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٠.

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ٣: ٤٧٩-٤٨١.

المهندسين بمعالجة الأمر[١].

وفى حالة نقص النيل عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م عن الحد الطبيعى منع الوالى السقائين من ملء الماء من الخليج وبعد عدة أيام زاد النيل وكذلك ما حدث عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م مُنع السقاءون من ملء الماء من الخليج الحاكمى والناصرى واستمر ذلك لمدة مائة يوم[٢].

كان نقص النيل والمجاعات والأوبئة كارثة حقيقة فتحصد أرواح عددٍ من دواب السقائين أو ينعدم طعام الدواب كالبرسيم والحبوب أو ترتفع الأسعار ارتفاعًا فاحشًا، ففى أيام الوباء الأسود عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م اختفى جميع الصناع فلم يوجد سقاءٌ ولا بابٌ ولا غلامٌ وبلغت راوية الماء ٨ دراهم لقلة الجمال والرجال[٣]، وكذلك ما حدث عام ٨١٦هـ/١٤١٣م تزايد الطاعون وارتفعت الأسعار وعز وجود الماء وأخذ الناس جمال السقائين فبلغت الراوية ١٥ درهمًا[٤] يحدث أحيانًا أن يتوقف النيل عن الزيادة فيؤدى ذلك إلى قلة الأعلاف؛ ففى عام ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م توقف النيل عن الزيادة وارتفع سعر راوية الماء كثيرًا واستمر ذلك سنتين[٥]، ومع بداية عام ٨٥٥هـ/١٤١٥م زادت أسعار السلع الغذائية وعلف

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠: ١٣٠ـ١٥٥؛ المقريزى: السلوك ٢: ٧٠٣ـ٧٠٤ ذكرها فى أحداث ٧٤٧هـ، السيوطى: حسن المحاضرة ٢: ٣٠٢؛ ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل فى ذيل الدول ١: ١٢٨.

(٢) ابن حجر العسقلانى (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): إنباء الغمر بأنباء العمر ٣: ٤١٨، ٥٤٦، تحقيق حسن حبشى، القاهرة، الهيئة العامة، ١٩٩٤م.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠، ٢١٠، المقريزى: السلوك ٢: ٧٨٠ـ٧٨٦.

(٤) المقريزى: السلوك ٤: ٢٥٨، ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٦، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ـ دار إحياء الكتب، ١٩٨٥م؛ ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ٣: ٢٤٩؛ العسقلانى: إنباء الغمر ٣: ٨.

(٥) ابن اياس: بدائع الزهور ٢: ٢٨٣ـ٢٨٤.

الحيوانات فبلغ سعر فدان البرسيم ٢٠-٣٠ درهمًا فأثر ذلك على دواب السقائين فزاد سعر راوية الماء إلى ٢٠ دينارًا[١]، وفى عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م أكلت الدودة البرسيم مع نقص النيل فارتفع سعره فبلغ الفدان ١٢ دينار وسعر الدريس ٤٠٠ درهم فأدى ذلك إلى قلة العلف لجمال السقائين وبالتالى ارتفع سعر الماء[٢]، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل استمر ارتفاع سعر الماء للعام التالى ٨٩٢هـ/١٤٨٧م وقل وجوده فتزاحم الناس على جمال السقائيين في الشوارع[٣]، وعندما زاد الوضع عن حده اضطر الناس للخروج بالحمير والجرار لجلب الماء كما أُغلقت الأسبلة وتزاحم الناس عليها[٤].

كان الأمراء يستخدمون السقائين فى بعض الأعمال كما حدث عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م عندما أمر الأمير ألطنبغا العثمانى أتابك العسكر بخروج كل ساكنى وقف المارستان المنصورى وجمع كل اليهود والنصارى وغيرهم فلم يبق «عنبرى ولا فراء ولا تاجر ولا سقاء ولا طباخ إلا وخرج للعمل فى المارستان وخلت الأسواق من الباعة واستمر ذلك شهرًا كما هدد أصحاب الحوانيت بالقتل إذا فتحوها[٥]، وفى ٨٩٣هـ/١٤٨٦م تسلط الأمراء الجلبان على جمال السقائين لنقل الدريس فزاد سعر راوية الماء إلى ٣٠ درهمًا واضطر الناس إلى جلب الماء

---

(١) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ١: ١٠٠، حررها وليام بير، كاليفورنيا، ١٩٣٠.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٥: ٣٩٦؛ ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ٨: ١٤، ابن ياس: بدائع الزهور ٣: ٢٢٤.

(٣) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ٨: ٦٠.

(٤) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ٨: ٦٣؛ السخاوى: وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام ٣: ١٠٠١، تحقيق بشار عواد، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.

(٥) المقريزى: السلوك ٤: ٣١٤؛ ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر ٣: ٥٥.

بأنفسهم[١] ، واستفحل الوضع فى نفس العام حتى عز وجود ماء النيل بالقاهرة «وبيعت الراوية بنحو أربعة أنصاف فضة ونقلة الماء على الحمار بنحو نصف فضة»[٢] ، وفى عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م غلت راوية الماء وقل وجوده لاستيلاء الأمير أقبردى الدوادار على جمال السقائين لأجل سفره إلى نابلس[٣].

وفى شهر رمضان عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م اشتد الحر ونقص ماء النيل ، وصار الطريق من بولاق إلى البر الغربى أرضًا يسير فيها الناس وكثر الطلب على الماء بالقاهرة وظواهرها حتى بلغ سعر الراوية ٤ دراهم بعد درهم ونصف ، وعجز الناس عن شراءها لكثرة الأزدحام على السقائين ، فخرج الناس بأنفسهم وعبيدهم وغلمانهم ينقلون الماء من النيل فى الجرار على البغال والحمير[٤] ، وفى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م اشتد الحر وعز وجود السقائين وتكالب الناس على الروايا والجمال حتى تعاركوا بالعصا وبلغ سعر راوية الماء ٣ أنصاف[٥].

وأحيانًا كانت المناسبات والاحتفالات سببًا فى ارتفاع أسعار المياه ففى عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م جاءت الأخبار بوصول السلطان من دمشق فاستعد الأمير بكتوت عبد الفتاح بتزيين القاهرة من باب النصر إلى باب السلسة وأحضر المغانى واستمر ذلك عدة أيام[٦] ، وبعد أيام تأخر الأمير بكتوت عن الخروج فقلق الناس

---

(١) ابن شاهين الظاهرى : نيل الأمل ٨: ٩٥؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٣: ٢٤٧، حيث ذكر أن السعر وصل ثلاثة أنصاف فضة .

(٢) ابن شاهين : نيل الأمل ٨: ١٠٠، ١١١.

(٣) ابن شاهين : نيل الأمل ٨: ١٩٩؛ ابن اياس : بدائع الزهور ٣: ٢٧٥.

(٤) المقريزى : السلوك ٣: ١٠١٦، ابن اياس : بدائع الزهور ١: ٥٨٥؛ ابن شاهين : نيل الأمل ٣: ٤٢؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر بأنباء العمر ٢: ١٠٥.

(٥) ابن ياس : بدائع الزهور ٣: ٣٦٠.

(٦) المقريزى : السلوك ١: ٩٣٨؛ العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ٤: ٢٥٦ تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .

وغلقت الأسواق وبيعت راوية الماء ٤ دراهم[١]، وفى محرم عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م مع قدوم محمل الحج وزيادة أسعار النقود والقمح والشعير واللحوم تراوح سعر الراوية من ١٠-١٣ درهم وكذلك سائر السلع[٢].

ويتبين مما سبق أن مهنة السقائين كانت رائجة فى مصر ودل على ذلك أعدادهم الكثيرة وأنواعهم المختلفة وأنهم مثلوا طبقة فعالة ومفيدة للمصريين، فدخلوا المنازل والمؤسسات الدينية والاجتماعية وكما خضعوا للرقابة الحكومية والشرعية، وفُرِض عليهم شروط والتزامات حفاظًا على الصحة العامة ولكنهم تعرضوا لضغوط وصعوبات أثرت على عملهم، ورغم أهمية تلك الطائفة ومشاركتهم فى جميع المناسبات إلا أن أجورهم كانت قليلة بالمقارنة بأسعار السلع فى تلك الفترة فكانوا ضمن طبقة العمالة الفقيرة التى لم تهتم بهم السلطات الحاكمة.

---

(١) المقريزى: السلوك ١: ٩٣٨.

(٢) نفسه ٣: ١١٧٠.